ففي مؤتمر حيفا تمثّلت الضفّة بشخصيّاتٍ أهمُّها: أحمد قطامش، عضوُ المكتب السياسيّ السابق للجبهة الشعبيّة ومسؤولُها الأول في الضفّة سبعة عشر عامًا؛ وعمر البرغوثي، القياديُّ الأبرز في حملة «مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها» (م.س.ع). كما أنّ أكاديميين كثيرين مُنعوا من بلوغ المؤتمر من قبل جيش الاحتلال. وبعد المؤتمر عقدتْ لقاءاتٌ في الضفّة لنقاش الخيار الديمقراطيّ، وهي إنْ أضيفت إلى مؤتمر حيفا فسيمْكن فهمُ المبادرات الجماعيّة التي انطلقتْ للتعاون بين الفلسطينيين على جانبيْ «الخطّ الأخضر.» البرفسور أسعد غانم مثلاً أطلق إعلانًا ومبادرة لتبنّي الدولة الديمقراطيّة باسم «رؤية الدولة الواحدة فلسطين،» وشكّل لإطلاقها «ملتقى الدولة الواحدة فلسطين،» وشاركه العملَ أكاديميون هم: حازم القواسمي وحنان عاروري وخريستو برشة وعارف جفال. التجربة لم تستمرّ طويلاً، لكنها أسهمتْ في إشاعة هذا الجوّ من التفكير في أوساط عدة.

في الوقت نفسه أَطلق عددٌ من المثقفين، من الضفّة والشتات، «رؤية فلسطينيّة جديدة» سبّبتْ هزّةً لافتةً نتيجةً لمشاركة محسوبين على خطّ التسوية، وهو ما عكس الشعورَ بانسداد أفق هذه التسوية. ولأنّ الرؤية صدرتْ بعد ورشات عمل عُقدتْ في الدائرة السياسيّة للجبهة الشعبيّة لدراسة الخيار الديمقراطيّ، وأسهم فيها واضعوها، فقد فُهم أنها تلقّت رعايةً من الجبهة.

إلا أنّ الدلائل الأهمّ بالنسبة إلى الجبهة الشعبيّة هي ما أتى في مرافعة أمينها العامّ الأسير أحمد سعدات، وفي رسالته إلى مؤتمر حيفا الأول، وفي العديد من الرسائل والتصريحات، وفيها جميعها أكّد تمسّك الجبهة بالخيار الديمقراطيّ. وهو ما ورد أيضًا على لسان مسؤول الدائرة السياسيّة وعضو المكتب السياسيّ للجبهة أبو أحمد فؤاد، ومسؤول الجبهة في الخارج وعضو مكتبها السياسيّ ماهر الطاهر، في مناسبات عامّة عدّة. كما حوت الدوريّة الداخليّة للجبهة، **الحياة الجديدة**، خطابًا متماسكًا بهذا الصدد. وكتب مسؤولُ الدائرة الثقافيّة للجبهة، غازي الصوراني، مقالاتٍ كثيرةً في فهم الدولة الديمقراطيّة العلمانيّة في سياق عربيّ واشتراكيّ، وأعلن في لقاء له (نُشر على الموقع الرسميّ للجبهة) أنه «لم يعد مفهومًا الحديثُ عن حلول مرحليّة» و«أنّ حلّ الدولة العربيّة الديمقراطيّة العلمانيّة في فلسطين يجب أن يكون هدفًا إستراتيجيًا لكافة قوى التحرّر العربيّة عمومًا وللقوى اليساريّة الديمقراطيّة في فلسطين بشكل خاصّ.»

كلّ الخطوات السابقة كانت تأسيسيّة، وتكمن أهميّتُها في فتح آفاق جديدة، وفي أنّ قادتها ـ على تعدّد خلفيّاتهم ـ وجدوا أنفسهم في تناقض كامل مع السلطة الوظيفيّة وأهدافها. كما أنّ الاتجاه الوطنيّ الجديد ـ بالإجمال ـ قد استطاع الانتقالَ إلى مستويات أعلى من الفاعليّة، حين استطاع توسيعَ قاعدة الاهتمام الشعبيّ، وإنْ كان هناك الكثيرُ من الجهود المطلوبة لبلوغ مرحلة التأثير السياسيّ. وأهمّ الوسائل الكفاحيّة كانت المشاركة بفاعليّة في حملة م.س.ع. وقد عمل قادةُ الاتجاه الجديد على نقل الحملة إلى أراضي ٦٧ لدعم المقاطعة على كلّ الصعد. لكنْ على الرغم مما في الحركة المتنامية من دفع داخليّ، فإنّ غياب دعمٍ ممنهجٍ يهدّد بقدرة العدوّ وحلفائه على محاصرتها.

دمشق

ملفّات الأعداد القادمة من الآداب

- أزمة «الصحوة الإسلاميّة»
- تركيّا من الداخل
- في مفهوم «الخيانة الوطنيّة»
- العنصريّة والعنصريّة المضادّة في الخطاب الثقافيّ العربيّ